

التمييز ما يساعد اليهود ، وخصوصا اليهود القاطنين في الوطن العربي ، على تحقيق اهدافهم العدوانية . ان عدائنا هو لليهود كـشعب لا فرق بين يميني او يساري «(١٧) . ان في هذه الفقرة التي اقتبسنا عدة امور لافتة للنظر : فهي بالاضافة الى اصرارها على عدم التمييز بين اليهودية والصهيونية تعتبر ان هذا التمييز « خدمة لليهود » كما انها ترى لليهود اينما كانوا شعبا واحدا ، ( يلاحظ ان تشديد كلمة ( شعب ) الواردة في النص اعلاه جاء كذلك في النشرة ) ، والنشرة كذلك ، في هذه الفقرة وغيرها ، لا تقيم وزنا للخلافات العقائدية بين الفرق اليهودية ( يسارية ام يمينية ) فالعداء لها واحد . وهذه الامور جميعا في تقديرنا مبررة ومفهومة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان العرب ، وهم المخاطبون في النشرة ، كانت جراحهم العميقة التي سببتها نكبة العام ١٩٤٨ لا تزال تنزف على أيدي الفرق الاسرائيلية تلك اليمينية والاخرى « اليسارية » ، فمن الطبيعي ان يتوجه العداء للخصم كجسم واحد ان اختلف في جزئياته فهو في العين العربية المدامة يبدو واحدا ( وهو بالفعل واحد ) . كما ان الصهيونية وهي التي استأثرت باهتمام العالم وهي التي كانت مخاطبة في العالم ، كانت قد طغت على كل صوت يهودي معارض وطمسته فلم يرتفع مثل هذا الصوت ليشير — ولو اشارة فيها الاعلام عن وجوده وخاصة لدى المتلقي العربي — الى اي نافذة يمرق منها التمييز بين اليهودية والصهيونية او يجعل هذا التمييز واضحا ومقبولا في وقت كان الفكر الوصفي طاغيا ما يزال على العقل العربي .

ربما كانت هذه النظرة الى اليهودية والصهيونية ناتجة — بالاضافة الى ما ذكر — عن فهم النشرة لليهود . فهي تعتبرهم شعبا واحدا له خصائصه وصفاته المميزة ليس للتاريخ والمكان دخل في تغيير هذه الصفات ، فهم « لا يشعرون بولاء لغير يهوديتهم بغض النظر عن البلد الذي يعيشون فيه . . . واليهودي يظل يهوديا اكان رأسماليا او كان اشتراكيا او كان ماركسيا متطرفا » (١٨) . وهذه النظرة الى « الطبيعة الثابتة » لليهود التي لا تزول ولا تحول كانت سائدة في الفترة التي عنها نكتب . وقد أدى هذا النمط من الفهم الى وضع الصراع العربي — الاسرائيلي ضمن اطار « تاريخي » فتكتب النشرة ان « هذه المعركة الناشئة بيننا وبين اليهود معركة قديمة يعود تاريخها الى قرون بعيدة في اغوار الزمن ، فهي ليست وليدة العصر الحديث ولا من نتاج الحركة الصهيونية ، بل انها تاريخية ، في قدمها ومظاهرها ، اثارها اليهود ولا يزالون بقصد الاستيلاء على أرضنا في فلسطين وخارجها . . . ولقد تبلور عزمهم وظهر سافرا في القرن الماضي بقيام الحركة الصهيونية التي أعلنت بوقاحة وشفاعة انها تريد فلسطين وما وراها » (١٩) . هل هي اللاسامية ؟ نستطيع بكل اطمئنان ان ننفي ذلك . فهذا الحقد الذي « تأصل تاريخيا » مسوغ امام شراسة الهجمة التي قام بها العدو ، وهي شراسة تحتاج الى تعبئة مضادة تتوسل كل شيء وأي شيء — بما في ذلك التاريخ — لملاقاتها وصدها ، في وقت لم يكن هناك من وسيلة لمقاومة الاستسلام التام والنهائي سوى الدفع المعنوي والتحرير الجماهيري . والتاريخ يظل سلاحا من هذه الاسلحة المعنوية التي تفعل في الجماهير وتؤثر . فإزاء كثير من محاولات النسوية التي كانت تستهدف انهاء القضية « سياسيا » والتي كانت النشرة تتصدى لها بعنف (٢٠) كانت النشرة لا تجد من وسيلة امامها سوى التأكيد على ان هذه المرحلة الراهنة من الصراع لا تنفصل عن « العداوة التاريخية » ، وانه حتى في حال اقدام الدول العربية على توقيع صلح مع العدو ينهي هذا الصراع الراهن فان القضية لا تحل ذلك « ان عدائنا لليهود أمر تقرره متطلبات الدفاع عن الكيان القومي » (٢١) وهي تستنجد بالتاريخ لترسيخ مقولاتها تلك . وتجدر الاشارة هنا الى ان النشرة أدركت منذ وقت مبكر الخطر الذي تمثله اسرائيل ليس على فلسطين وشعبها فحسب ، وانما على الامة العربية أيضا « فان المتتبع لتاريخ الحركة اليهودية العالمية منذ نشأتها حتى اليوم يدرك أن أهدافها لا تقتصر على اسرائيل الحالية ، فهي أضيق من أن